7/11/2025

من البئر إلى التمكين والنصر

الحمدُ للهِ المُتفضلِ بالنِّعمِ التي لا تُحصى، والمُنزِّلِ الفضلَ والرَّحمةَ على عبادِهِ، الحامدِ المحمودِ على ما أتمَّ به نعمته وأكمل به آلائه، ربِّ السمواتِ والأرضين، فاطرِ الكونِ ومالكِ المُلْكِ، لا شريكَ له في حكمهِ ولا عدلَ سواه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، المُنجي من كل ضيق ومُجيبُ دعوةِ المضطرين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صاحبُ الأميَّةِ التي نورت وَجهَ التاريخِ، صلواتُ الله وسلامُه عليه وعلى آلهِ الطيبين الطاهرين، وعلى أصحابهِ الكرامِ أجمعين. خطبتنا بعنوان: يوسف الصديق من البئر إلى التمكين والنصر

أيها الإخوةُ المؤمنون في قصة يوسف عليه السلام نستلهمُ الصبرَ والثباتَ، ونستلهمَ منها كيف أن وعد الله لا يخيب.

اليومَ نخوضُ معاً في مَغْزَى وَحكمَةِ قِصَّةِ النبي يوسف عليه السلام، تلك القصة التي تُعدُّ من أجَلِّ الدروسِ والعِبَرِ التي أنزلها الله علينا في كتابه الكريم، لتكون لنا زاداً في الطريق، وسراجًا يضيء لنا دروب الضيقِ والظلمِ والابتلاء. إن قصته هي رحلة تمكينٍ ونصرٍ من الله، بدأت من الظلامِ والبُعد، وانتقلت إلى النورِ والعزِّ، ومن الجبِّ و السجن، إلى الحكمِ حيث القُدرةِ والسيادةِ في الأرض.

أيها الأحبة، لقد علمنا الله أن قصص الأنبياء والحكماء هي من أبلغ وأتقن القصص، تحمل لنا معانٍ عظيمةً تمسُّ وجداننا، وتُحدث في نفوسنا تحولات عميقة، وخصوصًا قصة يوسف عليه السلام، إذ فيها بيانًا لكيفية التمكين من الله للمؤمن الصادق. فالنبي يوسف عليه السلام بدأ حياته برؤية عظيمة، حيث رأى في المنام أحدَ عشر كوكبًا والشمس والقمر ساجدين له، فقصَّ على أبيه يعقوب عليه السلام هذه الرؤيا، يقول الله تعالى:

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (4) قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (5]. ولكن المصاعب والحسد بدأ في الظهور سريعًا، فحسده إخوته عليه السلام، فالحسد مرض قاتل يدفع الناس إلى البغضاء والظلم والعداوة والمقت، حتى وصلوا إلى شناعة طلب القتل أو الطرح في البئر، بهتانًا وزورًا وظلمًا فظيعًا. فقد قال الأخوة:

﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ [يوسف:9]. فلما فعلوا ذلك و طرحوه في الجب، لم يتركه الله لوحده، بل هو القادر المتصرّف في الأمر كله، فكتب له تعالى أن يخرج من هذا الظلام إلى حياة جديدة، بتمكين في الأرض. وزوال الظلم، ورفع المنزلة، قال الله تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ [يوسف:56]. وهنا نؤكد أن التمكين هو فضل من الله لا يُنال إلا بالصبر والصدق والإخلاص فيه، فلم يكن ذلك تمكينا رهينًا لوسائل الدنيا وحدها، بل كان توفيقًا من الله ليوسف عليه السلام بسبب معايشته لجوانب عديدة من الابتلاء، فقد استمر في الغربة، وبعد ذلك في السجن، لكنه ظل في حالة توكل ودعاء وثبات. ومن أعظم دروس هذه الرحلة المباركة، موقف يوسف عليه السلام من الفتنة التي وقعت في بيت العزيز، حيث راودته امرأة العزيز وأرادت إغراءه، ولكنه وقف موقف الرجل المؤمن الذي يعتصم بالله، فصنع المثل الأعلى في العفة والأمانة حتى النهاية، إذ قال:

﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف:23]. إن صبره واعتصامه بالله جعله ينجو من فتنة كبيرة، لا ينجو منها إلا من أعانهم الله وأيدهم. ثم لما دخل السجن، كانت لحظة امتحان جديدة، ولكنه لم يجزع ولم ييأس، بل دعا الى ربه بالحكمة والموعظة الحسنة رفاقه في السجن، قائلًا لهم:

﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف:39]. وهذا موقف يعطينا درسًا بليغًا في أن الدعوة إلى الله لا تتوقّف بوجود المحن، بل يمكن أن تكون الأزمة هي فرصة لنا لنشر الحق، وإظهار قدرة الله تعالى.

والتمكين الذي حصل عليه بفضل الله لم يكن تمكينًا عاديًا، بل تمكينًا يحمل رسالة ومسؤولية، فلقد جعل خزائن الأرض بيده ليكون سببًا في حفظ الناس وإعالتهم وقت القحط والجوع، وهكذا نعلم أن العاقبة دوماً للمتقين، والصبر هو طريق الفرج، والاعتصام بالله هو الحصن المنيع، فالله لا يخيب عباده الصالحين، فقد وعد نبيه يوسف عليه السلام بأنه يرتفع ويرتقي فوق كل كدر ومحنة.

أيها الإخوة، لنا في قصة يوسف عليه السلام أملٌ لا ينقطع، فهي تنبه المؤمنين أن لا ييأسوا مهما كانت الظلمات كثيفة، فالله تعالى حينما يريد أن يمكّن لعبده، يجعل منه رئيسًا ومالكًا وحاكمًا، ولكنه يختبره أولاً ويبتليه، وهذا هو قانون الحياة وهو سنة الله التي لا تتغير. فلنحرص على الصبر والشكر لله والتمسك بحبل الله المتين، فإن التمكين الحقيقي هو في رضى الله عز وجل، والسلطان الدنيوي لا يعادل عنده شيئًا إن لم يكن مقرونًا بالإيمان والتقوى.

لقد كان الصحابة والسابقون في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتابعون أحداث العالم وينظرون لتقلباته ويتأملون في سنن الله الجارية على العباد. من أعظم تلك الأحداث التي قصها الله تعالى: ﴿الم* غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ [الروم: 1-5]. فقد كانت الفرس والروم أعظم قوتين في العالم آنذاك، فلما غلبت فارس الروم، حزن المسلمون وفرح مشركو مكة، فأنزل الله تعالى الآية وبشّر النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة أن الروم ستنتصر مرة أخرى، وفرح المسلمون بذلك لأن الروم أهل كتاب أقرب إلى المسلمين من الفرس عباد النار والأوثان، وانتظر الصحابة بضع سنين حتى تحقق وعد الله وانتصر الروم وفرح المؤمنون بنصر الله وتحقق الإعجاز القرآني كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم. كل ذلك ليُبين أن الأحداث العالمية ليست بعيدة عن الواقع الإيماني، وأن نصر الله للحق وتغيير الأحوال سنة ماضية، فالأيام دول، وتنقلب لصالح أهل الكتاب والمؤمنين، ولو بعد انتظار وابتلاء وصبر. واليوم، بعد أن ازداد في عصرنا ظلم الاستكبار العالمي وجرائم الصهيونية وأُزهقت أرواح أكثر من سبعين ألف فلسطيني في أبشع صور التنكيل، نقف ونسأل: هل كان لا بد أن يحدث كل هذا حتى يستيقظ الضمير الإنساني ويكتشف بشاعة الظلم وخبث الاستكبار؟ أليس في تدبر قصة يوسف وتمكينه من بعد بلاء وفراق ظلم إخوة ما يزرع اليقين بأن نهاية الظالمين زوال مهما طال الأمد، وأن المظلومين لهم وعد الله بالتمكين؟

قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص:5]. إن التضحيات الجسيمة للفلسطينيين هي من صور البلاء والامتحان العظيم الذي تمضي فيه سنة الله: ابتلاء، ثم صبر، ثم دعوة إلى الحق، ثم فتح ونصر وتمكين. ولولا عزم الأبطال وصبر المضحين لما أشرقت قضية فلسطين في ضمير الإنسانية حديثًا، وما تحرك العالم للمطالبة بحقوقهم والاعتراف بجراحهم. هذه الدماء الزكية نذير، وصرخة تذكير: لا عدل ولا أمان، ولا سلام حتى تُقام دولة العدل على أسسٍ من الرحمة والحق، ولا نترك أن يتحكم في العالم من يعتدي ويظلم ويستكبر.

في ظل التحولات الكبرى التي يشهدها العالم، يبرز فوز زهران ممداني بمنصب عمدة نيويورك كعلامة فارقة تفتح أبواب الأمل أمام المجتمعات المقهورة والمستضعفة.

هذا الشاب وبعض النظر عن تشيعه، بالحكمة ضالة المؤمن، فزهران وقف في وجه الاستكبار العالمي وتجاوز الحواجز السياسية والمالية، وهذا يؤكد لنا بوضوح أن الإرادة القوية وقيم العدل والرحمة قادرة على هزيمة الاستكبار مهما اشتدت سطوته. ممداني يقف اليوم شاهداً على ثمرة كفاح الشعوب المظلومة ونضال البسطاء؛ كما أن فوزه يصنع درساً في التواصل مع الجميع، ويثبت أنّ الحق لا يقاس بالمذهب أو العرق، بل بالصدق وعدالة القضية. إن رئاسته لمدينة هي مركز للنفوذ الصهيوني، ورغم منافسة أقوى الشخصيات السياسية والمالية، تمثل انتصاراً غير مسبوق وتأكيدًا على أن التغيير يبدأ حين يُمكن الله في الأرض من يؤمن بحفظ الحقوق ونشر المحبة.

يعلّمنا هذا الإنجاز أن نصر الله للذين آمنوا وصبروا حقيقة لا تتبدل، وأن التمكين في الأرض لا يكون بحكم القوة، بل بخدمة الناس والعدل بينهم. وانا اقول لولا تضحيات الفلسطينيين لما ظهر زهران ممداني ولا توج بالنجاح.

إن الظلم مهما طال وبان بزخارفه، فإن الله يمهل ولا يهمل، ويهيأ قواعد هدمه. يقول تعالى:

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ﴾ [يونس: 24].ومن الصبر والثبات يتأتى التمكين، فهنيئًا للمؤمنين فرحة النصر ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ [الروم: 4].

Reflexiones sobre la historia del Profeta Yusuf

Alabamos a Allah, el Generoso, Creador del cielo y la tierra, que nunca deja de bendecirnos con sus misericordias infinitas. Testificamos que no hay más dios que Él y que Muhammad es Su siervo y mensajero, luz que iluminó la historia y guía nuestras almas.

Queridos hermanos, hoy reflexionamos sobre la historia del Profeta Yusuf, fuente inagotable de paciencia y fortaleza. Su viaje desde la oscuridad del pozo y la prisión hasta la autoridad en la tierra es un ejemplo claro de cómo la misericordia divina eleva al creyente sincero. Allah dice en el Corán:

﴾ Nosotros te relatamos las mejores historias por haber sido reveladas a ti en este Corán...﴿ .Yusuf soñó con once estrellas, el sol y la luna postrándose ante él, muestra de su futura elevación . Aunque sus hermanos, movidos por la envidia, lo arrojaron al pozo , Allah no abandona a Sus siervos y lo elevó para gobernar en tiempos de dificultad.

Su resistencia frente a la injusticia y la tentación en prisión testimonian la fe profunda que tenía. Los primeros musulmanes observaron atentos cómo las señales divinas se manifestaban, como la derrota y posterior victoria de los romanos, lo que fortaleció la fe y confirmó las promesas divinas [Ar-Rum:1-5].

Sin embargo, el mundo tuvo que ser testigo de la dolorosa pérdida de más de setenta mil palestinos para abrir sus ojos a la verdad del sufrimiento que han padecido por más de siete décadas, entendiendo que dicha realidad es de injusticia y resistencia genuina. Ante esta tragedia, recordamos que la paciencia, el esfuerzo y la justicia son las vías hacia la liberación. Allah promete:

﴾Queremos conceder nuestro favor a los humillados en la tierra y convertirlos en líderes y herederos ﴿ [Al-Qasas:5].

En medio de la oscuridad surge la esperanza en la figura histórica de Zohran Mamdani, un joven musulmán que ganó la alcaldía de Nueva York, desafiando potencias mundiales y difundiendo el mensaje de amor y justicia.

Su triunfo demuestra que Allah concede poder a quien sostiene la verdad y la justicia, tal como dice:

﴾Allah ordena la justicia y la benevolencia ﴿ [An-Nahl:90]. Recordemos que el mal no perdura eternamente:

﴾ Hasta que la tierra tome su adorno y sea embellecida, y sus habitantes piensen que dominan sobre ella. Entonces vendrá Nuestro mandato de noche o de día, y la haremos una cosecha seca como si no hubiese prosperado ayer ﴿ . Por ello, mantengamos la esperanza firme, conscientes de que:

﴾ Y en ese día los creyentes se alegrarán con la victoria de Allah ﴿ [Ar-Rum:4]. Que Allah nos conceda perseverancia y firmeza hasta el triunfo verdadero.